

الإمام بوارى على الوردي

هـ ١٤٩٢

في العصر الحاضر

لِنَطَبِبَيْهِ الْمُشَكِّلَةَ

فِي الْعَصْرِ الْخَضِيلِ

تأليف: أبوالإعلى المودودي

ترجمة: خليل احمد الحامدي

مكتبة الرشط

الرياض

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِلنَّاشرِ

١٤٠٣ - ١٩٨٣ م

مَكَتبَةُ الرِّشَادِ طَرِيقُ الْمَجَازِ - صَبَقَةُ ١٧٥٢٢ - هَافَ ٤٥٩٣٤٥١
الْرِّيَاضُ - الْمَلَكَةِ الْمَرْيَمَةِ السُّعُودِيَّةِ
لِلْنَّاشرِ وَالنَّوَّارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يسرنا أن نقدم إلى الانخواة القراء ثلاثة حلقات من الحوار الذي جرى بين الأستاذ أبو الأعلى المودودي وبين إذاعة باكستان حول موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث . وقد جرى هذا الحوار في الفترة التي كانت حكومة باكستان اعلنت البدء في تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان تجاه بالرغبة المسلمين . فالحلقة الأولى والثانية أذيعتا في ٨ و ٩ من شارب زيل ١٩٧٨ م حينما كانت القوانين الإسلامية تحت إعداد ودراسة المجلس الفكري الإسلامي وكان المسلمون يمارسون الضغط على تطبيقها بدون ما تأثير بينما كانت العناصر المعادية تشتعل لتشويش الأذهان وبلية الأفكار حول هذا الأمر . وفي النهاية تحكت الحكومة من تطبيق طائفة من القوانين على رغم العقبات في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٩ هـ ، وفي هذه المناسبة اجرت إذاعة باكستان الحلقة الثالثة من الحوار مع الأستاذ المودودي حفظه الله في ٦ مارس ١٩٧٩ م .

إن جميع تلك الحلقات وإن كانت في غاية الإيجاز يجد أن القراء الكرام يستطيعون أن يطلعوا من خلالها على التساؤلات التي توجهه من

(ب)

أصحاب العقلية الحديثة إلى الدين يحاولون تطبيق النظام الإسلامي في العصر الحديث كما يطّلعون على الأساليب التي يحب الخاذه لانجاح هذه المهمة الشاقة .

ويسعدنا أن نقول أن الحركة الإسلامية في باكستان أخذت على عوائلها تحقيق هذه المهمة على رغم ما يعترضها من عقبات كثيرة وأشكال شائكة في الطريق . وما لا شك فيه أنها تقدمت فيه بعض الأشواط إلا أن بعضها الآخر وهو الأهم لا يزال ينتظر جهوداً متضاعفة وتضحيات صادقة . والنصر دائماً حليف المؤمنين . وذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم .

خليل أحمد الحامدي

مدير دارالعروبة للدعوة الإسلامية

لاهور ○ باكستان

١٩٧٩/٨/٢٧

أسلوب الرسول ﷺ في الحكم

مندوب اذاعة باكستان :

سماحة استاذنا الكبير قائد الحركة الاسلامية .

من اللحظات السعيدة لإذاعة باكستان أن يحضركم مندوبيها ويوجه إليكم بعض الأسئلة . ولا يخفى على سماحتكم أن دولة باكستان تزيد الاعتصام بحبل الله بعد أن عاشت ثلاثين سنة في ظروف الانحراف . ومن فضل الله علينا أنه لا يختلف اثنان اليوم في جعل باكستان دولة اسلامية .

يا صاحب السماحة ، هناك أكثر من واحد من الرواد والقادة ، ولكننا لازال نعاني من الاضطراب والتشویش من عدم الاهتمام إلى ما هو الحق ، وصرنا في وضع يتمثل جيدا في قول الشاعر الاردي ما معناه بالعربية : «امشى مع كل من يسير في الدرج خطوات قليلة . ولا ازال اجهل من هو الرائد» .

نحن اليوم في حاجة ملحة إلى التوجيهات التي جاء بها النبي ﷺ حتى نسير في الطريق المستقيم ويصلح بذلك دنيانا وديتنا .

يا صاحب السماحة ، أول ما نرجوه منكم هو أن تبينوا لنا اسلوب

الذى اختاره الرسول عليه الصلاة والسلام للحكم . وثانياً : كيف يمكن لنا اتباع هذا الاسلوب في العصر الحاضر .

ولمعرفة محسن دولة راقية أو عيوبها في العصر الحاضر تؤخذ الأمور الأربع بعين الاعتبار :

١- من هو مصدر السلطة العليا في الدولة .

٢- ما هو مدى حرية القضاء ونزاهته فيها .

٣- ما هي نوعية السلطة التشريعية وحدودها ونطاقها .

٤- ما هي حدود السلطة التنفيذية واحتياصاتها وخصائصها .

ومن هذا المنطلق نتوجه إليكم برجاء حار أن تلقوا الأضواء على عهد النبي ﷺ . حيث نحن وراء البحث عن كنوز تجعلنا نعيش وفق أحكام الرسول ﷺ وتعاليمه : نعيش وفقها اليوم ، وغدا ، بل ابدا دائما .

المودودي :

يسري كثيرا أنكم انتم لى هذه الفرصة لأبين لعامة المسلمين في بلدي بصفة عامة ، ولحكامه بصفة خاصة على أن نظام الحكم الذي اقامه النبي ﷺ ماذا كان شكله واسسه .

إن الأمر الأساسي الذي عرضه الرسول عليه الصلاة والسلام هو : أن السلطة العليا المطلقة ليست إلا لله سبحانه وتعالى . فالأرض أرض الله . وكل ما نعيش عليه من ماء وهواء وضوء وما إلى ذلك هو ملك الله سبحانه وتعالى . هذا الجسم الذي نعيش به ، والقوى الكامنة فيه ، وأعضاءه ، وجوارحه هو الذي وهبنا إياها . ولا يحق لنا ابتداء أن ندعى لأنفسنا السلطة المطلقة ، أو نعترف بها لاحد يدعها من دون الله . سواء كان ذلك المدعى شخصا أو حزبا أو قلة أو مؤسسة .

فاول شيء عمقه النبي ﷺ في اذهان البشر ودعا الناس إلى الایمان به هو : أن الملك لله تعالى ، والحكم له أيضا . ولا يجوز لأحد أن يشرع للناس قانونهم .

والامر الثاني الذي له اهمية اساسية في الدين أيضاً هو أن النبي ﷺ اوضح للناس أن الله سبحانه وتعالى لا يؤتي قانونه للناس مباشرة . وإنما يؤتيه لهم بواسطة انبيائه ورسله . والرسول ﷺ لم يكن حاكماً منتخبًا ولم يصطنع حكمه من تلقاء نفسه ، بل الله سبحانه وتعالى اعطاه هذا المنصب ، وأمره بأن يعلم الناس ، ويزكيهم ، ويصلح اذهانهم وافكارهم ويقوم أخلاقهم ، ويبلغهم رسالات الله واحكامه . ويطبقها بالذين يؤمنون بها ويطبعونها ابتعاداً من رضات الله .

والامر الثالث الذي دعا النبي ﷺ إلى الایمان به هو الآخرة . فالإنسان إذا لم يؤمن بكونه مسؤولاً أمام الله . وبأنه يبعث بعد موته ، ويقوم أمام الله ، ويحاسب على كل عمل من اعماله لا يمكنه أن يسير في طريق الاسلام . كما لا يمكنه أن يصبح انساناً حقيقياً .

إن هذه الأمور الأساسية الثلاثة ظل النبي ﷺ يدعو إليها ، ويمرضها على الناس في مكة المكرمة ثلاثة عشرة سنة متتالية . فالذين آمنوا به ورضوا بتلك العقائد جعل منهم أمة واحدة ونظمهم في جماعة واحدة .

وفي السنوات الثلاث الأخيرة من عمره ﷺ في مكة المكرمة آمن به جماعة قليلة من أهل يثرب وهم دعوا النبي ﷺ أن يهجر اليهم ويهاجر معه اصحابه . وصدقت السيدة عائشة رضي الله عنها حينما قالت : «إن المدينة فتحت بالقرآن» إذ لم يكن هناك سيف أو قوة

قاهرة ارغمت اهل المدينة على الاسلام . بل لما بلغهم القرآن وعلموا بما ازل في مكة من سور القرآن آمنوا بها ايمانا صادقا . ولم يكتفوا بذلك ، بل دعوا النبي ﷺ وأصحابه إلى الهجرة إلى قريتهم (يثرب) الصغيرة . ولم تكن لهم هذه الدعوة دعوة اللجوء إلى هذه القرية بل كانت لأجل أن يكون النبي ﷺ لهم معلما ، ورسبيا ، وحاكمًا ، وأن يكون المهاجرون والأنصار أمة اسلامية واحدة ، وأن يقام في تلك القرية ذلك النظام للحياة الذي آمنت به الأمة ديننا وشريعة . وعلى ذلك فقد قامت الحكومة الاسلامية في المدينة المنورة في ذلك اليوم الذي نزل فيه النبي ﷺ المدينة .

وأول ما قامت به الحكومة الاسلامية هو العناية بنشر العلم والوعي بين الناس . لأن الاسلام هو العلم لا الجهل . واستند النبي ﷺ وأصحابه جهودهم في أن يعرف الناس دينهم ، ويؤمنوا به على وعي وبصيرة . وبقدر ما انتشر الوعي وأصبح الناس يعتقدون الاسلام ازدادت قوة الاسلام وتوطدت دعائمه .

والامر الثاني الذي حققه الرسول عليه الصلاة والسلام هو أنه زكي نفوس الناس ، واقام اعوجاجهم ، وانشأ مجتمعا يقوم كل شيء فيه على اساس الاخلاق المستقيمة . إذ أن أي نظام للحكم مهما كان يبلغ من السمو قمته ، ومهما كانت قوانينه تبلغ من الصلاح أوجها إذا كان بناءه لا يقوم على قاعدة من الخلق النزيه ، وإذا كان القائمون به لم يكونوا من أصحاب السيرة المستقيمة والسلوك النظيف وإذا كان المجتمع الذي يخاطبه لم يكن مجتمعا يؤمن بالله ويحافظ لنفسه بذوق ذلك النظام للحكم أبدا . ولذلك النبي ﷺ مع تكريسه الجهد في الدعوة

إلى الإيمان بالله ونشر العلم ركز عنایته على تزكية النفوس وتحسين الأخلاق . وكان من مقتضى طبيعة نظام الحكم الذي جاء به النبي ﷺ أن تكون أخلاق الناس تسير طبيعته وتنسجم معه . ولذلك لم يننفر النبي ﷺ إلى استخدام القوة لتنفيذ الأحكام والقوانين في اغلب الأحيان ، ولم ينحج إلى ارغام الناس على الطاعة قسراً . وإنما كان يكتفيه أن يقول للناس : إن الله أمركم بالأمر الفلافي ونهكم عن الامر الفلافي . وإذا بالناس يأترون بما أمروا وينتهون عما نهوا عنه عن طواعية انفسهم . ولم يكن عند النبي ﷺ من شرطة أو سجن أو شبكة للمخابرات . وما كان يدور بخلد أحد أن يبلغ الناس شيء من الرسول للعمل به فيخالفوه .

خذوا مثلاً على ذلك حكم تحريم الخمر : عند ما أعلن في المدينة حكم التحريم أصبح الناس يريقون الخمور ويكسرن أوانيها وينتغون من تناولها . وأصبح من كان يشربها ويبلغه النهي يصرنها عن فمه . ولا تجدون ولا مثلاً واحداً في جميع تاريخ البشرية لهذا النوع من الالتزام والاتباع . وما يسأى يوم امريكا ببعيد . أنها صرفت آلاف الملايين من الأموال لاقناع الناس على اضرار الخمر ومساويه . وقد جندت كافة الوسائل الاعلامية لشرح النتائج السليمة للأدمان . وادخل على الدستور الامريكي بعد تأييد الرأي العام تعديل "منع بموجبه الخمر في امريكا . ولكن اليوم التالي لصدور قانون منع الخمر بدأت ظواهر المخالفة القانونية في طول البلد وعرضه . صار الناس يشربون الانواع الرديئة من الخمور . وقد بلغ الأمر إلى حد أن الشارع الامريكي اضطر لالغاء قانون منع الخمر . ولكنكم الآن أن تقارنوا بين المثالين : مثال يبرهن على أن ما أذن صادر حكم تحريم الخمر إلا واقبل الناس على تطبيقه ايماناً

واحتسابا . ومثال يوضح أنه يقرر قانون منع الخمر معززا بالتأييد الشعبي ، بعد تمهيد الجو وبذل الدعاية على أوسع النطاق . ولكن صدور القانون يقترن بمخالفته بدون ما تأخير . وهذا دليل واضح على أن نظام الحكم الصالح أساسه الإيمان والتقوى . وبانعدام هذين الامرين مما وضعنا احسن الدساتير وأفضل القوانين لا تعدو حبرا على الورق ولا تناول طريقها إلى التنفيذ في الأرض .

مندوب اذاعة باكستان :

الخصائص الأربعة للنظام الديمقراطي الغربي اليوم الذي اشرت إليه في البداية هل كان الحكم الإسلامي أيام النبي ﷺ يتسم بتلك الخصائص ؟ وإذا كان فبأى شكل ؟

المودودي :

فيما يتعلق بالسلطة العليا سبق أن قلت أن تلك السلطة ليست إلا لله سبحانه وتعالى كما علمنا بذلك النبي ﷺ . وأما تصنيف الحكومة إلى ثلاث سلطات : التنفيذية والتشريعية والقضائية فهذا التصنيف لم يكن في عهد النبي ﷺ . فهو ﷺ كان شارعا وكان قاضيا وكان حاكما . فكل تلك السلطات كانت مجتمعة في شخص النبي ﷺ بحيث كونه نبيا مأمورا من الله . ولكن كان من دأب الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأمر الذي كان يأبهه من الله عز وجل كان يطالب الناس باتباعه اتباعا كليا . ولم يكن هناك منسع في مناقشته . أما الذي لم ينزل فيه أمر من السماء كان يستشير فيه أصحابه ، وكان يعطي لهم الحق في الاختلاف معه . وحدث أكثر من مرة أنه ﷺ تخلى عن رأيه إلى رأى أصحابه . والمثال على ذلك ما حدث في غزوة بدر حيث

أنه عليه اختار مكاناً للنزول فقام أحد أصحابه العباب بن المنذر يسأل : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أزله الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي وال الحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي وال الحرب والمكيدة فقال : يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل فنهض بالناس حتى نأى أدنى ماء من القوم ، فنزله فقال رسول الله عليه : لقد اشرت بالرأي فنهض رسول الله عليه ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتي أدنى ماء من القوم تزل عليه .

يمكنكم أن تفهموا من خلال ذلك أن الرسول عليه كان يروض الناس على امرتين : أحدهما : كل امر ينزل من الله يطيعوه اطاعة مطلقة بدون تلکؤ . وثانيها : الامر الذي لم ينزل فيه حكم من الله يستشار فيه أصحاب الرأي وال بصيرة ويتاح لهم حق مناقشته ، واستبيانة ما فيه من جوانب الحسن أو القبح ، ويتاح لهم حتى الاختلاف معه في بعض آرائه ، وعرض رأى آخر عليه ثم الاخذ بالرأي الذي يقرر بعد المشاورة .

ولكم مثال آخر من هذا القبيل : عند ما اكفرت الظروف واشتد البلاء في غزوة الأحزاب اراد الرسول عليه أن يعقد الصلح مع بعض القبائل من غطفان : اعداء الاسلام ، على ثلث تمار المدينة ، لأجل فصلها من تكملة المشركين . فلما اراد رسول الله عليه أن يفعل ذلك بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله : امرأ تجده وتصنعه ؟ أم شيئاً أمرك الله به ، لابد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيئاً اصنعه لكم ، والله ما اصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، كالبؤم من كل جانب فاردت أن اكسر عنكم من شوكهم إلى امر ما ،

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهو لاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا القرى (ضيافة) أو بيعا . أفحين أكرمنا الله بالاسلام ، وهدأنا له ، واعزنا بذلك وبه تعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا تعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله ﷺ : فانت بذلك فتنازل سعد بن معاذ الصحيفة فمحى ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا .

ويمكنكم أن تعرفوا بما ذكرت آنفا اسلوب الرسول ﷺ للحكم حيث أن الأمور التي كان الله يتزل فيها حكمه لم يكن فيها ما نصطلح عليه اليوم بالديمقراطية . والأمور التي لم يكن فيها حكم الله كانت تسمى بروح التشاور (روح الديمقراطية بدون تشبيه) .

ونأخذ الآن موضوع السلطة القضائية . إن الرسول ﷺ كان قاضيا حيث قال الله عز وجل : «إنا أزلنا إليك الكتاب لتتحكم بين الناس بما أراك الله» . وعلى هذا كانت السلطة القضائية بيد النبي ﷺ . وكان اسلوبه في القضاء وتسويه النزاعات أنه ﷺ كان يحرص على أن لا يتحقق العدل الكامل فحسب ، بل أن يلمس الناس بوضوح بذلك العدل الاسلامي . فكل القضايا كانت تطرح في المحكمة العلنية . ولا يجد ولا مثلاً واحداً للمحاكمة السرية . من المشهور أن أحد اصحاب رسول الله ﷺ كتب إلى ملك مكة قبيل الفتح أخبرهم باعتزام المسلمين الهجوم عليهم فعثر على هذا الكتاب . وكان هذا الأمر بمثابة التجسس لحساب العدو والخيانة مع الحكومة . ولو سألنا اليوم آراء الناس لقالوا : إن هذا النوع من القضية لا بد أن يحاكم فيها في المحكمة السرية . إلا أن

الرسول عليه الصلاة والسلام اقام المحكمة في المسجد علينا ، وسمع إلى الأدلة وقضى ما شاء الله أن يقضى . وكانت القاعدة الثانية من قواعد القضاء النبوى أن لا يقضى في أمر إلا بعد أن يسمع إلى ما عند الخصمين ، وأن لا يحرم أحد من حقه من الحقوق الأساسية إلا بعد اتاحته الدفاع عن نفسه بكل حرية . وإن القضاة الذين عينهم النبي ﷺ خارج المدينة كان ينصحهم بأن لا يقضوا في خصومة بدون أن يسمعوا إلى ما عند اطراف الخصومة . وقد أغلق النبي ﷺ باب الشفاعة بكل شدة فيما يرجع إلى القضاء . وحدث بعد فتح مكة أن سرقت امرأة من قريش : تقول عائشة رضى الله عنها : أن قريشا اهتموا شأن المخزومية التي سرقت . فقالوا . من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا اسامه حتب رسول الله ﷺ ؟ فكلمه اسامه فقال : «أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام ، فخطب ، فقال : يا ايها الناس ، إنما هلك الذين قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه . وإذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وائم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . وهكذا فقد سد النبي ﷺ بباب الشفاعة في الحدود ، بل لقد وضع قاعدة شاملة جعلت بمحاجتها كل الناس سواسية في القانون . ومنع الناس من تضليل القاضى والحصول على الحكم لهم بهذه الطريقة . قال ﷺ : إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلى فلعل بعضكم أن يكون الحن بمحاجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها .

ونلقي الآن الضوء على السلطة التشريعية فان الدين الذى جاء به النبي ﷺ كان القانون فيه لله سبحانه وتعالى كمبداً اساسي . وكذلك

كان حق التشريع فيه لله تعالى . ولذلك لم يكن النبي ﷺ فيه مشرعاً مستقلاً . إنما كان منفذاً لقانون الله ، وشارحاً ومربياً للناس على تنفيذه بالعدل والقسط . فبين الناس أولاً ما هو قانون الله ثم شرح ذلك القانون فيما نجده في سنته ﷺ . فمثلاً ورد في القرآن حكم السرقة حيث قيل : «السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» . وهذا حكم موجز كل الإيجاز يحمل كل الأجمال . ولكننا نجد في سنة الرسول ﷺ كيف نطبق هذا الحكم ، ومتى نطبقه ومتى لا نطبقه . وما هي السرقة ، وما هي ليست بسرقة . وما هو نصابها الذي بوجبه يطبق هذا الحكم ، وما هي الأموال التي تدخل في حكم السرقة والتي لا تدخل في حكمها . ولو لا التفصيل الذي جاء في السنة لما استطعنا أن نطبق حكم السرقة بصورة صحيحة . ويتضح من ذلك أن النبي ﷺ لم يكن مشرعاً مستقلاً بل الله سبحانه وتعالى هو المشرع ، وكان النبي ﷺ شارحاً لقانونه بتكييف منه عز وجل . فالذي نسميه القانون الإسلامي هو ما في كتاب الله . وأما السنة فهي ما يحتوى عليه كتب الحديث .

والأسلوب الذي اختاره النبي ﷺ لتنفيذ القانون كان يشتمل على ما يلى من المبادئ الرئيسية :

- ١- ادرؤوا الحدود بالشبهات .
- ٢- إن الإمام أن ينخطئ في العفو خير من أن ينخطئ في العقوبة .
- ٣- أن يقضى للناس في الخصومات بالتراضى بينهم . ولهم أن يغفوا عن أحد إذا أرادوا أو أن يستروا أحدهما . وكل ذلك قبل أن يبلغ الأمر القاضي . فإذا بلغ القاضي فلا عفو ولا ستر ، فالقاضي يقضى فيه بما يراه من الحق .

٤- ونهى الرسول ﷺ بكل شدة من بذل اية محاولة في التأثير على قضاء القاضي . وأمر القاضي بأن يقضى في ضوء كتاب الله وسنة رسوله وبما يراه من الحق .

٥- وقال ﷺ : القضاة ثلاثة : واحد في الجنة واثنان في النار فاما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحكم فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس عن جهل فهو في النار .

وهناك أمور أخرى يجب أن تفهموها جيدا : لا نستطيع أن نفهم جيدا ما كان عليه عهد النبي ﷺ من شئون الحكم إذا جعلنا النظريات السياسية المعاصرة مقاييسا لفهمها . فالدولة في العصر الحاضر تتكون من ثلاث شعب : تنفيذية وقضائية وتشريعية . والقانون الأساسي للدولة تقرر ما لكل شعبة منها من الحدود والاختصاصات . هذا في العصر الحاضر . أما ما كان عليه عصر النبي ﷺ أن المدينة المنورة قبل هجرة النبي ﷺ كان فيها لكل دار من دور القوم حيطان منفصلة كانت تشمل على اراضيهم وحدائقهم وبيوتهم وسقائفهم التي كانت يجتمعون تحتها عند المهام . وكان يسودهم النظام القبلي . وكل قبيلة منهم كانت تتولى شئونها . ولما اسلم نفر من اهل المدينة في بيعة العقبة في مكة طلبوا منه ﷺ أن يعين لهم نقباء فعين النبي ﷺ لهم اثني عشر نقبيا من كانوا اكثراهم صلاحا ونفوذا وثقة عند القوم . وكان من مسؤولية كل نقيب منهم أن يستعين بمن في قبيلته من وجهاء واشراف فيهم الصلاح والنجابة . يستعين بهم في نشر الاسلام واصلاح الاخلاق وتسويقة المعاملات . والذى آمن من اشراف القبائل ورؤسائها جعله

النبي ﷺ أيضاً سيد قومه وشيخ قبيلته . ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أقر بنفس النظام . وكل ما كان هناك من فرق هو أن الأشراف المسلمين من المدينة حلووا مناصب الرئاسة محل الأشراف المشركين . وهذا التغير لم يحدث بالانتخاب أو التصويت . وإنما كان من طبيعة الانقلاب الإسلامي أن يتعد الأشراف المشركين ويتقدم الأشراف المسلمين في كل مجال من مجالات الحياة . ولتسهيل شؤون المدينة كان النبي ﷺ يستشير أصحاب الرأي من المهاجرين والأنصار . وهذا الوضع لا يشبه النظام التشريعي أو البرلماني في العصر الحاضر . والذين كانوا من ذوى النفوذ والرأي والأمانة من المسلمين سواءً أكانوا من المهاجرين أو الانصار كان النبي ﷺ يدعوهم كلما أمهه أمر ما أو مسنه حاجة . وهو لاء لم يكونوا منتخبين من قبل العوام . ولم يكن هناك من انتخاب حسب المصطلح الحديث . إلا أنهم كانوا على قدر من المعرفة والبصيرة والنفوذ عند العوام حيث لو أجري لهم الانتخاب على الطريقة الحديثة لكانوا هم الناجحين بكل تأكيد . ثم لم يكن من الضروري أن يُدعى كل واحد منهم عند كل ملمة أو معاملة . بل كلما كان الأمر يتطلب إلى التشاور استشير من كان حاضراً في المدينة . وكان يكفي حتى عند أهم القضايا وانحصار المسائل أن ينادي منادٍ حضور الناس في المسجد النبوي .

ولما اتسعت دائرة الدولة الإسلامية خارج المدينة عين النبي ﷺ ولاة وعملاً في مختلف المناطق . وهم الذين كانوا حكاماً يتواون الشؤون الإدارية ، وكانوا قادة يتولون شؤون الجند . ولم يكن في ذلك العهد جيش نظامي كجيوشنا . بل عامة المسلمين كانوا يخرجون إلى المجاهد متطوعين عندما يدعوهم الداعي . وكذلك عين النبي ﷺ قضاة في

مختلف الاقطار، وكانوا في حرية تامة في شؤون القضاء. حيث لم يكن عامل أو وال أن يتدخل في شؤونه. وكذلك استعمل النبي ﷺ نفرا من أصحابه على تعلم الناس دينهم. ولم تكن الغاية من التعليم تعليمهم القراءة والكتابة بل كان مراده أن يتلو المعلم للناس القرآن، ويلقنهم معانيه، ويبين لهم سنة الرسول عليه الصلاة والسلام. وكان التعليم في اغلب الاحيان شفاهيا. وكذلك المعلمون كانوا يتولون تربية الناس خلقيا وفكريا بنفس الاسلوب الذي كانوا تعلموها من النبي ﷺ. فمثلاً بعد فتح مكة جعل النبي ﷺ عتاب بن آسيد واليا عليها وجعل معاذ بن جبل معلماً فيها.

أما جبائية أموال الزكاة فعين النبي ﷺ محصلين في بعض النواح. وأمر رؤساء القبائل جبائية أموال الزكاة في النواح الأخرى. والاقطار التي استسلمت للدولة الإسلامية على الخراج لم يكن فيها من يجيء أموال الخراج. ولما فتحت خير وتصالح يهود خير مع النبي ﷺ على نصف زروعها كان النبي ﷺ يبعث احداً من أصحابه أيام الحصاد، وكان يجعل كل الزروع نصرين. وكان يخبرهم أن يأخذوا أيهما أرادوا. وجاء في كتب التاريخ أن المسلمين لما أخذوا منهم الخراج على هذه الطريقة قال اليهود: على هذا المدل تقوم السماوات والأرض.

هذه هي الصورة الموجزة لنظام الحكم النبوي.

(٨ ابريل ١٩٧٨م)



كيف نطبق النظام الإسلامي في العهد الحاضر

مندوب اذاعة پاکستان:

يا صاحب السماحة ، لقد وضحتم لنا في الحلقة الاذاعية الأولى
ما كان للرسول ﷺ من أسلوب في الحكم . ولكن السؤال الذي يطرح
نفسه في هذا المقام هو : لا نستطيع أن نجد اليوم شخصية مثل شخصية
الرسول ﷺ تجمع بين جميع الكمالات والمكارم ، ولا نجد كذلك
جماعة مثالية ربها النبي ﷺ بأروع التربية وامثلها كجماعة الخلفاء
الراشدين والصحابة رضي الله عنهم ، ولا المجتمع الذي كونه النبي
ﷺ في متهى النظافة ، ولا التربية الخلقية التي امتاز بها عهده النبي
ﷺ . وإذا أردنا البدء في تطبيق النظام الإسلامي في المجتمعات
المعاصرة الفاسدة فكيف لنا أن نصوغ الخصائص الاربعة ، التي ذكرناها
في الحلقة السابقة والتي تعتبر خصائص الدولة العصرية ، في قوالب
النظام الإسلامي ، ثم ماذا سيكون . الترتيب والتدرج الذي نأخذ بهما
لأجل تحويل المجتمعات الفاسدة الحالية إلى المجتمعات الصالحة .
الرجاء أن تفضلوا مشكورين بالقاء الأضواء على هذه التساؤلات ؟

المودودي :

إن أول أمر يجب أن تفهموه جيداً في هذا الصدد هو أن الشيء

الذى نصفه بالنظام الاسلامى لا تستطيع حكومة عدمة الایمان بالله وفاقدة السلوك المستقيم تسييره ابدا . فالادارة الخالية من خشية الله لا تستطيع تطبيق الاسلام . كذلك لا يمكن ان يقوم الاسلام بصورة سليمة في مجتمع يكون وضعه الخلقي سينما بصفة عامة . بل تبذل الجهود المستمرة لتخريبه . وكما تعلمون عشنا مدة من الزمن ، في ظل نظام الملوك المسلمين في شبه القارة الهندية ، الذي لم يكن إسلاميا بمعنى الكلمة ، ولكن مع هذا كان القانون الاسلامي هو الذي كان يسود المجتمع . وكان أهل العلم والمدعاة يتواون بهام تربية الناس وإصلاحهم . ولأجل ذلك فالمجتمع في ذلك العهد الماكي على رغم انه لم يكن على مستوى المجتمع الذي كان في عهد الرسول ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين لم تكن حالة الناس الخلقية فاسدة فيه بدرجة الفساد الذي طرأه فيما بعد ، ولم يكن الناس كذلك على جهل بالإسلام بقدر ما أصبحوا جاهلين به فيما بعد . إن شرب الخمور كان عندهم نادرا جدا . وكذلك — المحرمات الأخرى . وصحبج أن بعض الناس كانوا يزاولون المنكرات ويرتكبون الآثام ، ولكنهم لم يكونوا يرتكبونها على مرأى من الناس ومسعهم .

وحيثما قامت الحكومة الانكليزية أول ما قامت في البنغال في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي كان الأمر بحيث كتب بعض الكتاب الانكليز :

«أن حوادث السرقة كانت منعدمة إذ كانت تقطع يد السارق . ولم يكن يتوقع أحد أن يكون المسلم كاذبا . بل لم يكن يتصور أحد أن المسلم يشهد شهادة الزور أمام المحكمة . وعامة المسلمين كانوا مشققين . بل كانت نسبة التعليم تبلغ مائة في المائة » .

هذا ما يقى عليه المسلمون الى اواخر القرن الثامن عشر الميلادى في الهند .

ولما احتل الاستعمار الانكليزى هذه القارة غير نظام القانون فيها، وغير نظام الاقتصاد فيها ، وبيث في نظامنا الاجتماعى آثارا سببية جدا . وأصبح النظام الاسلامى للتعليم والتربيه ، مثلا ، يعاني عجزا ماديا لأن الحكومة تخلت عن رعايتها ، وصارت المعاهد الاسلامية لا تسير إلا بمعونة الأثرياء من المسلمين ، وأغلقت الحكومة أبواب الرزق على خريجى تلك المعاهد . بينما النظام الانكليزى للتربيه والتعليم الذى روجه الانكليز فتح أبواب الرزق على مصراعيها في وجه خريجيه في جانب ، وفي الجانب الآخر شرع ذلك النظام بعبادته وأسميه الهدامة يمحو من أذهان المسلمين التصورات القائلة بالإيمان بالله والرسول واليوم الآخر . هذا ما ورثناه من العهد الانكليزى .

ومن المؤسف جدا أنه لم تبذل محاولات جدية في تبديل هذه الأوضاع بعد قيام باكستان ، بل لا أبالغ إذا قلت أن الفساد الذى طرأ على المسلمين في مدة ثلاثة سنين مضت هو اكبر حجما وأكثر اتساعا من الفساد الذى لحق بهم طيلة العهد الانكليزى . واذا قامت حكومة إسلامية اليوم وارادت تحسين تلك الأوضاع لانتوقع منها أن تقلبها ظهر المجن ، وتعود الى الحياة الاسلامية بكامل الوجه بين عشية وضحاها .

ولكي نبدأ في تطبيق النظام الاسلامي لا مناص لنا من أن يتولى زمام الحكومة أشخاص يكرسون جميع وسائل الاعلام ، وجميع أجهزة التعليم ، وجميع الانظمة الادارية في نشر الوعي الاسلامي بين عامة المساهمين وفي اصلاح حالاتهم الخلقية على أوسع النطاق . وبقدر ما ينتشر

الوعى الإسلامي بينهم ، وبقدر ما تحسن حالتهم الخاقية بقدر ما يتغير الجو للنظام الإسلامي الشامل .

وكذا نأمل بأن الحكومة التي ستتولى أزمة الأمور في باكستان عقب انتهاء العهد الانكليزي سوف تتخذه نفس المنهج الذي أشرت إليه ، أى سوف تستخدم كل طاقات الوسائل الإعلامية في انعاش العقائد الإسلامية ، وإنشاء المخلق الإسلامي السايم في عامة المسلمين ، وسوف تضع نظاماً للتعليم والتربيـة يـكون من عـامة الأفراد عـنـصـراً صـالـحاً لـلـمـجـتمـعـ الإسلامي وـهـوـاـطـنـاـ مـخـلـصـاـ لـلـدـوـلـةـ الـاسـلـامـيـةـ ، وـسـوـفـ تـقـضـىـ عـلـىـ نـظـامـ التـعـلـيمـ الـذـىـ يـنـشـرـ الـالـحـادـ . وـسـوـفـ تـرـوـجـ مـكـانـهـ نـظـامـاـ لـلـتـعـلـيمـ يـدـعـوـ إـلـىـ الـإـيمـانـ بـالـلـهـ وـاـطـاعـتـهـ ، وـسـوـفـ تـحـاـولـ جـعـلـ النـاسـ يـعـيـزـونـ بـيـنـ الـحـلـالـ وـالـحـرـامـ . وـلـكـنـ مـنـ سـوـءـ حـظـنـاـ أـنـ لـمـ يـتـحـقـقـ أـمـلـ مـنـ تـلـكـ الـآـمـالـ الطـوـيـلـةـ الـعـرـيـضـةـ . وـلـوـ اـخـذـتـ الـحـكـوـمـةـ الـتـيـ تـولـتـ أـمـورـ باـكـسـتـانـ فـيـ بـدـاـيـةـ الـأـمـرـ كـافـةـ الـوـسـائـلـ وـالـتـدـابـيرـ لـتـحـقـيقـ تـلـكـ الـآـمـالـ لـكـانـ الـوـضـعـ فـيـهـاـ غـيـرـ الـوـضـعـ الـذـىـ نـخـنـ فـيـهـ الـيـوـمـ .

اذن لا بد لنا اليوم من أن ننطاق من نقطة البداية . ولا مانع من أن تناولوا تطبيق القوانين الإسلامية ، ولا مانع من تدوينها تلك القوانين حتى تستطيع محاكمـاـ أن تـحـكـمـ بـهـاـ . الاـ أـنـهـ لـاـ يـجـوزـ الـاـكـنـفـاءـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ حـتـىـ نـقـولـ انـ النـظـامـ الـاسـلـامـيـ قدـ قـامـ . بـلـ يـجـبـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـرـكـزـ أـكـثـرـ مـاـ نـسـتـطـعـ عـلـىـ انـ نـدـرـسـ التـعـلـيمـ الـاسـلـامـيـ فـيـ جـمـيعـ مـدـارـسـناـ الـابـدـائـيـةـ وـالـثـانـوـيـةـ وـجـمـيعـ كـلـيـاتـناـ وـجـامـعـاتـناـ ، وـأـنـ نـسـتـخـدـمـ جـمـيعـ الـوـسـائـلـ الـاعـلـامـيـةـ فـيـ تـبـصـيرـ الـمـسـلـمـيـنـ بـهـاـ هـوـ الـإـيمـانـ وـالـاخـلـاقـ ، بـدـلاـ مـنـ أـنـ نـسـتـخـدـمـهـاـ فـيـ نـشـرـ الرـذـائـلـ وـالـمـنـكـرـاتـ وـالـجـرـائمـ . وـيـجـبـ عـلـيـنـاـ كـذـلـكـ أـنـ

نبين لعامة الناس ماهى الاخلاق الاسلامية وماهى الاخلاق الكافرة ، وما هو الفارق بين هذه وتلك . وسبق ان قلت ان النظام الاسلامي لم يقم الا في مجتمع عميق فيه أساس الإيمان قبل كل شيء ، ثم أقيم على ذلك الأساس الوطيد نظام الاخلاق بكماله ، ونظام الاجتماع بكماله ، ونظام الاقتصاد بكماله ، ونظام السياسة بكماله ، ونظام القانون بكماله .

وإذا أردنا ان نعود الى ذلك العهد المثالي فلابد لنا ان نعود بنفس الاسلوب . لأننا اذا لم نعمق في قلوب الناس دعائم الإيمان بالله والإيمان بالرسول والإيمان بالقرآن والإيمان بالآخرة لا تثمر جهودنا بمجرد تبديل القوانين . اذا انكم تعرفون جيداً كيف ان البوليس عندها يملك مهارة فائقة في اختلاق القضايا على الناس الابرياء ، بل انه قد حاز قصص السبق في هذا الشأن لحد أنه يستطيع أن يتحدى جميع العالم في اختلاق القضايا وتزويرها . وكذلك حدث عن الشهود ولاحرج . فانهم يعتبرون أن المحكمة ليست إلا مكان شهادة الزور . بل ان البوليس نفسه يصنع دائماً فئة من الشهود الكاذبين مستعدة للشهادة الكاذبة في أى وقت .

هذه الأمور فقط اذا اوضحتها أمامكم تستطرون ان تقدروا من خلالها كيف يستقيم امر القانون الاسلامي بصورة صحيحة مادامت الأجهزة المسئولة عن نفاذ القانون بلغت من الفساد قمته .

ويجيء هنا وبذلك علينا أن ندرس بكل دقة وانخلاص أسلوب ناجعة لتبديل قوانين الإسلام . ويجربنا رب ذلك يحب علني ولاه الأمور المسلمين أو المسلمين يسألون في المستقبل أن يباخروا اصلاحاته بشربة على الجهاز التشريعي . كما يجب عليهم ان يعلموا نظام التعليم والتربيه ، لأن يستطروا بفهم جميع أسلوب مسائل اتهاماتي الإيمان في قلوب الناس وانسلاخ

سلوكهم وجعلهم يخشون الله في السر والعلن ، وفي المنشط والمكره .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! « الشعب الياكستاني عبيد العصا » هذا المثل كثيرا ما يدور على السنة عادة الناس . إذن فهل النظام الاسلامي كذلك لن يقوم الا بالعصا ؟

المودودي :

ان للعصا ايضا مكانا في النظام الاسلامي . ولكن ذلك في آخر الاشواط . والترتيب الفعلى في الاسلام هو كما يلى : تبذل الجهود أولا وقبل كل شيء في اصلاح الذهان والافكار بالتوجيه العام حتى تخلي الناس عن الافكار الفاسدة . ثم تكرس الجهود اضعافا مفضلاعفة في تحسين أخلاقهم حتى يتهيأ في كل حارة وفي كل دار جماعية من الناس الصالحين يقدرون التحكم في عصابات المجرمين ، ويتولون مهمة اثارة جوانب الدين والامانة والصلاح في الناس . وهكذا يمكن أن ينشأ في البلد رأى عام لا يسمع للمنكر أن يرفع رأسه . وإذا حاول أحده أن يتوجه إلى الفساد في مثل هذا الجو يجد في طريقه العابثين من العقبات والعرقل . وإذا حاول أن يتوجه إلى الصلاح والتقوى يجد المعيق كله يشجعه على ذلك . ثم إن الاسلام يوحي أن يسكنون مجتمعها يكون الناس فيه هتراجمين هناءهين يواصي بشئون بعضها ويشاهد بعضهم بعضها في حالات الشدة والبيس . ويكون كل شخص فيه بحروم نفسه عن الشفاعة لغيره أن يعلم أن جندها أيام سادها ، ثم إن الارهاب يقيم نظاما للاقتصاد يغير ادرايا حرامها والزكوة

واجبة ، ويغلق أبواب الكسب الحرام ، ويؤمن لكل مواطن تكافؤ الفرص للكسب الحلال حتى لا يبقى شخص يحرم من ضرورات الحياة .

وبعد هذه التدابير كلها يتأتى دور العصا . لأن الشخص الذى لا يستقيم أمره بدفع الإيمان ، ولا بالتربيـة الخلـقـية ، ولا بالـتـعـلـيم ، ولا بتـوفـيرـ العـدـلـ لـه ، ولا بـتـحسـينـ الـأـوضـاعـ الـاـقـتـصـادـيـةـ ، ولا بالـجـوـ الصـالـحـ العام ان الشخص الذى لا يستقيم أمره بكل ذلك ليس له من علاج إلا العصا . فيستخدم عليه العصا بصورة علنية يكون عبرة لجميع الأشخاص الذين تراودهم النفس لارتكاب الجرائم وانهاج طريق السوء .

ومن الخطأ الفاحش ان نتغاضى عن منهجهية النظام الإسلامى . ونتناول موضوع العقوبات فقط . وسبق أن قلت ان الإسلام يشرع ، قبل كل شيء ، بغرس الإيمان في قلوب الناس ، ثم يأخذ في تقويم سلوكهم فيأخذ بكل ما يمكن من الأساليب والوسائل في خلق رأى عام قوى لتنمية المعرفات وسحق المنكرات ، ويقيم نظاما للمجتمع والاقتصاد والسياسة يضيق مجال العمل السيء ويسهل مجال العمل الحسن ، ويسد جميع الأبواب التي بها تنمو الفواحش وتنشر الجرائم . وأخيرا بعد كل ذلك هو يستخدم العصا (أى القوة) لقمع كل أمر خبيث برفع رأسه في المجتمع . ومن أظلم من يتحدث عن الإسلام فيجعل آخر تدابير الإسلام أولها ويسع كل الجuntas الوسطانية مسحا ، اساءة لسمعة الإسلام وتشويهاً لدبياجته الوضاءة .

مقدوب الاذاعة :

فيما قلت عن الحكومة صحيح كل الصحة . فمادام لا يتوفـر للـحـكـوـمـةـ رجالـ يـرـيدـونـ بكلـ أـمـانـةـ وـصـدـقـ تـطـبـيقـ الـإـسـلـامـ ،ـ وـيـكـونـونـ

بمستواهم الخلقي والعلمى صالحين لهذه المهمة الجليلة لا يظهر الاسلام بمعظمه الكامل ولا يشعر نتائجه المرجوة . ولكن ينشأ السؤال هنا : ليس لتغيير الحكومة في العصر الحاضر الا طريق الانتخابات . فهل تتفضلون واضعين أمام عينيكم عهد النبي ﷺ ، بالقاء الأصوات على طريقة تجعل نظام الانتخاب الغربي المعاصر منسجما مع نظام الإسلام القائم على الشورى . فالي أى حد وبأى أسلوب ؟

المودودى :

اعلموا جيدا اننا مدعوون الى ان نتقدم الى الامام من الوضع الذى نحن فيه الآن . وعلينا ان لا نتغافل عن هدفنا الذى نريد تحقيقه . حتى لانضع خطوة الا الى ذلك الهدف شيئاً أم أبداً . وما لا بد منه ان تكون نقطة انطلاقنا هي الانتخاب لأنه لا يمكن أن نغير نظام الحكومة أو رجال الحكومة في بلادنا الا بهذه الطريقة . ولا نجد طريقة أخرى في الوقت الحاضر نغير بها بصورة سلمية نظام الحكومة . فعلينا ان نكرس كل جهودنا في أن لا نستخدم طرق سيئة في الانتخاب مثل الاكراه ، أو التزوير ، أو استغلال العصبيات الاقليمية أو الطائفية أو النسبية أو القبلية ، أو الدعاية الكاذبة ، أو كيل السباب والفسق للمنافس ، أو شراء الذمم ، أو تزوير أوراق الناخبين ، أو تزوير النتائج الانتخابية . بل يعطى للناخبين حرية كاملة ليتخبوا من يشارون من المرشحين الذين نزلوا في المعركة الانتخابية .

ثم يفرض على الأفراد أو الأحزاب عدم دخول الانتخاب الابطريقة معقولة : هي أن كل شخص أو حزب يدخل الانتخاب يقدم للجماهير بيانه الانتخابي وما يستهدفه من وراء نجاحه في الانتخاب . ثم يترك

الأمر إلى الناس لكي يختاروا من المرشحين من يشاءون ويرفضوا منهم من لا يشاءون . ومن المحتمل أن لا تنجح في دورة الانتخاب الأولى في تغيير أسلوب التفكير ومقاييس الاختيار عند عامة الناس . ولكن إذا بقى نظام الانتخاب مستقيما سائما ، كما قات ، فلاجرم أن يأتي يوم ينتقل فيه نظام الحكم بكامله إلى رجال من أصحاب الامانة والصدق والاخلاص والایمان . وبعد ذلك تستطيع أن نراجع نظامنا الحالي للانتخاب ونختار مكانه ذلك النظام المثالي من جديد يلام ثم نهيج الاسلام للحكم .

والذى أقصد من ذلك انا لا نستطيع أن نصل إلى هدفنا الذى نستهدفه طفرة وبوثبة واحدة .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! هناك تساؤلات كثيرة تخالج الصدر ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يسurg عليكم الشفاء الكامل حتى نتمكن من جلسة أخرى مطولة معكم لمناقشة هذه التساؤلات .

ولكن أحب أن أعرف منكم أن الدعوة التي جعلتموها نصب عينكم في الحياة ثم جاهلتم في سبيلها طول الحياة وقد وصلتم اليوم — والحمد لله على ذلك — مرحلة تكاد تبلغ الدعوة هدفها المنشود . أحب أن أعرف منكم كيف تتصررون الأوضاع الحالية في ضوء جهودكم التي بذلتموها حتى الآن : خان أن يجهودكم صارت تثمر نتائجها المنشورة وهل تقد حققتم فعلا انتصارا للدعوهكم ؟

الأخير (نوابي) :

الأخير سؤال : مذكوري تجلي بحرياته . من عاده ، أذ لا أدعى دعوي

فارغة ولا أثني على نفسي . ولكن الذى لا يخفى على أحد أن الجهود المتصلة التى بذلت فى ترويج الافكار الاسلامية — ولم اكن وحدى فى هذا الميدان بل كثيرون من غيرى كذلك استنفدوا جهودهم فى هذا المجال — أصبحت الطبقات المثقفة فى باكستان تحب الاسلام نتيجة لتلك الجهود . وصحيح ان اخلاق تلك الطبقات لم تبلغ المستوى المطلوب . الا ان حركة نشر الافكار الاسلامية جعلتها تفهم الاسلام بصورة الصحيحه الكامله ، وكذلك اثارت فى قلبها حماسا عارما لاقامة النظام الاسلامى .

ان مؤسساتنا التعليمية التى أقيمت على نظام الميكانيكى اولى للتعليم والتربيه نشأ فى المؤسسات نفسها بفضل تلك الجهود جيل ظل يحب الاسلام حبا عميقا ويفهمه فهما جيدا . وقد تواجهنا اليوم مسألة هامة وهى توعية الجماهير . واتم تعرفون ان عامة الجماهير فى باكستان اميون . ونحن نتفكر هذه الايام كيف ننشر بينها الوعى الاسلامى . وبما أن اغلبية الناخبين فى باكستان اميون وهم دائما عرضة للتضليل من قبل المغرضين والهدامين ولأجل ذلك لا ينعقد الانتخاب فى باكستان بصورة صحيحة وسليمة وهم ما حاول المثقفون عقده صحيحة بنسبة مائة فى المائة .

ومن واجب شبابنا المنشئين وبنائنا الكرام فى هذه المرحلة ان ينصرفوا تاما الى تبصير عامة الجماهير فى الترى والازياf والمدن ، وليس من الصعب ورى ان تكون عامة الجماهير قد تناول قسطا كبيرا من الثقافه فى المدارس والمعاهد . ونبه بانتشار الاسلام فى عهده النبى ﷺ بالكتاب ، بن انتشار بالادعوه والوعظ والتوجيه العام . ولذلك ليس من

الضروري ان نجعل عامة الجماهير تقرأ وتكتب أولا ، ثم نفهمها الدين . بل علينا ان نأخذ بنفس الاسلوب الذى كان اخذ به النبي ﷺ واصحابه من تعلم الجماهير شفاهيا وتبصيرا بما فرضه الله عليها من فرائض وواجبات ، وتوعيتها بما هو الحلال والحرام ، وغرس خشية الله في قلوبها ، وتحذيرها من عذابه الشديد على اقتراف الكبائر . وترغيبها الى الاعمال الصالحة ومكارم الاخلاق . ونؤمن بأن آيات الله واحاديث رسوله التي بدللت العرب ظهرا للبطن الى ما قبل اربعة عشر قرنا تستطيع أن تحقق الغرائب والمعجزات اليوم ايضا ، بشرط أن نستعين بها لاصلاح المجتمع وتزكية النفوس وتربيه الجماهير ولا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها .

ومن الاهمية بمكان ان نقدم للناس توجيهات اصيلة من القرآن والسنّة بما عليه من جلاء ووضوح . ونغرس في قلوبهم الإيمان بالله ورسوله ، ونقول لهم : انكم مهما استطعتم أن تستخفوا عن أعين الناس لا تستطعون أن تستخفوا عن الله . ومن الممكن أن تنجوا بأنفسكم من عقاب الناس ولكنكم لا تستطعون بحال ان تنجوا من عذاب الله . وهناك كتاب يكتبه الكرام البررة عما تعلمون . وهو سوف ينطق عليكم بالحق . ولا بد لكل نفس أن تذوق ذاتنة الموت ، وتحضر يوم القيمة امام الله فيحاسبها على كل عمل من اعمالها . وليس من المعقول ان تتركوا الصوات الخمس ، وتفطروا علينا في رمضان ، وتهينوا بذلك دين الله ، وتذنسوا انفسكم بالآثام بكل جرأة ، وتحضروا الله يوم القيمة واتم قد سلبتم حقوق الناس وانتهكتم اعراضهم وتعرضتم لكرامةهم وارقتم دماءهم ثم بعد كل ذلك تناولوا البراءة من عذاب الله . يمكنكم ان تمكروا في الدنيا ما استطعتم . ولا يؤاخذكم عليه احد ، ولكن كيف

لهم ان تخلصوا من مؤاخذة الله العلي القدير. وهو عليم بذات الصدور .
هذا وغيره من التوجيهات الربانية الصافية إذا قدمتم للناس وغرستم
في قلوبهم ترون بأم اعينكم كيف ينشأ نوعي السليم في عامة السكان
رويدا رويدا وكيف تتعش فيهم المعنوية والاحساس النبيل .

وإذا علم الناس ، بعد ذلك ، بأنهم مدعون من الله ورسوله الى أن
يقيموا في الارض النظام الاسلامي فلابد من أن يرهشوا عن الذين
يصلحون لهذه المهمة الجليلة ، ويستخبوهم ، ولا يقعوا في مصاييد
الدجالين الكذابين .

وعامة الناس يعرفون : الى اي طبيب يذهب احدهم اذا مرض .
او الى اي محام يذهب اذا اقيمت عليه القضية في المحكمة . وعلى غرار
ذلك اذا اشأتم فيهم شعورا صحيحا بالاسلام وفهم ما سليما عنه لا جرم
انهم يعرفون بأنفسهم بعد ذلك : اي المرشحين في الانتخاب يصلح
لإقامة النظام الاسلامي اذا نجح في الانتخاب . ونفرض انهم يخطئون
في انتخاب المرشحين الصالحين في معركة انتخابية . ولكنهم سوف
لا يقعون في نفس الخطأ في المعركة الأخرى اذا استمرت جهود نشر
الوعي الاسلامي بينهم على قدم وساق ، ويبقى باب توجيهه النقد مفتوحا
على ما يعلمه الحكام من اعمال منحرفة عن الاسلام ، بأسلوب علمي
معقول . ونفرض ان ينجح في الانتخاب اناس سيئون ويتولون ازمة
الأمور ، ويحكمون بما يشاءون ، ثم يحاولون تزوير الانتخاب القادم فانهم
اذا فعلوا ذلك سوف يواجهونن باذن الله نفس الحركة الشعيبة التي
اطاحت بحكم بوتو ذلك الدكتاتور الظالم الفتاك .

وهناك أساليب اخرى لتبصير الجماهير بالاسلام ومقتضياته ، علينا

أن نعني بها بصفة خاصة . فمثلا في بلادنا عدد كبير من الاتحادات العمالية . فعلينا أن نبث بين العمال أفكارا توضح أن النظام الذي ينصف العامل هو الاسلام وليس الاشتراكية . ولا علاج لمشكلاته الا في اتباع الاسلام . أما الاشتراكية فهى لم تنصف العمال في الماضي ولن تنصفهم في المستقبل . ومن الافضل ان يتولى مهمة نشر الوعي الاسلامي بين العمال شباب درسوا جيدا الانظمة الاشتراكية والشيوعية واوضاع الدول الشيوعية والاشراكية . وذلك بدلائل قاطعة وأمثلة واقعية لا قبل لاحد إنكارها . وهكذا نستطيع أن نحوال الحركات العمالية بالتدريج إلى الحركات الاسلامية . ونستطيع ان نوجد في العمال شعورا صافيا يستطيعون بفضلهم معرفة قادتهم جيدا : هل هم اتباع ماركس ولين أم اتباع الله ورسوله . ثم يترك لهم : هل هم يحبون ان يبعثوا يوم القيمة تحت لواء ماركس ولين أو تحت لواء رسول رب العالمين .

ولل فلاحين أيضا مسائل ومشاكل . فعليكم ان تبينوا لهم أن ليست لها حلول عادلة إلا في الاسلام . ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وجد أهالها من الانصار يمارسون الزراعة . وكان قبل الاسلام نزاعات كثيرة بين أصحاب الاراضي وبين المزارعين . كما أن الذين كانوا يأتون بالغلال من القرى إلى المدينة كان التجار والسماسرة يغشونهم أفسح الغش ويستغلونهم أسوأ الاستغلال فأصلاح النبي ﷺ كل هذه المفاسد بحكمة ، وأقام المعاملات التجارية على أسس العدل والقسط . ولكم أن تراجعوا لمعرفة كل ذلك كتب الحديث والفقه ، و تستطيعون أن توضحوا كل ذلك لل فلاحين وتقنعواهم على أن هذه المسائل التي هم يرثون تحت وطأتها كان الاسلام قدما لها حلا سليما فيما مضى ، وهو الذي يستطيع أن يحلها اليوم ولا غير .

وبقدر ما يتم عمل التوعية والتوجيه بقدر ما تتحسن الظروف ويتهميا الجو لظهور نتائج الانتخاب الصحيحة . وبقدر ما يفوز أهل الدين والصلاح والتقوى في الانتخابات بقدر ما تقدم خطواتنا إلى النظام المثالي الذي شهدته عصر الخلافة الراشدة .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! هناك ينشأ سؤال آخر وهو : «قد تفضلتم وقلتم انه يجب أن يقام النظام الاسلامي بالتدريج ، بل سوف يقام هذا النظام بالمراحل التدريجية» . وهل معنى ذلك أن القوانين السائدة والقوانين التي وضعت تحت النظام الديمقراطي الغربي لا تزال تسود خلال مرحلة التغيير التدريجية ؟ فهل لأمرین متناقضین أن يتواكبان جنبا مع جنب ؟

المودودي :

لامناص لنا من أن نبدل نظام الحياة الذي ساوره الفساد ودخله التخريب منذ عهود طويلة بالتدريج . ولا يمكن أن نستبدل النظام التربوي الاستعماري الذي وضعه الإنكليز بالنظام التربوي الإسلامي بلمحات من البصر . وكذلك اوضاع الناس الخلقة التي ترددت إلى الانحطاط والتدھور في سينين طويلة بالافلام السينمائية الماجنة ، والصور القبيحة ، والاغانى الخليعة الرائجة ليلا ونهارا ، والمجتمعات المختلطة بين النساء والرجال ، ومناولة الخمور ، ومارسة القمار وما إلى ذلك من اعمال السوء والأنشطة المحرمة ، لا يمكن تبديل اخلاق الناس وعاداتهم بعد كل ذلك بين عشية وضحاها . ولكن مع هذا وذاك علينا أن نبدأ من يومنا هذا في بذل الجهد واستنفاد المساعي لتبديل الارضاع

و اصلاح المفاسد . ولا يجوز لنا التأثير في ازالة كل منكر من المنكرات يمكن لنا أن نزيهه بأسرع خطوة واقرب فرصة . ونفس الأسلوب نختاره فيما يتعلق بالأنظمة والقوانين . فعلينا أن نلغى من قوانين عهد الكفر والأنظمة التي تخالف الإسلام ما نقدر على الغائه على فوره بدون ما تأخير أو تلاؤ . ثم بقدر ما نتمكن من تنفيذ القوانين والشرعية الإسلامية لا تؤجل تنفيذها ولا ل يوم واحد . إذ أن الحكومة التي تؤمن بالاسلام بكل اخلاص وصدق والتي تستهدف اقامة الاسلام في الحياة الواقعية هي مدعوة إلى ادخال الاصلاحات الجذرية في جميع الدوائر والشعب . ومن الخطأ القول بأن لا تنفذ القوانين الإسلامية ما دامت لا تستكمل الإصلاحات . وما لا شك فيه أن قضايانا في المحاكم إذا شرعوا في تحكيم القوانين الإسلامية في القضايا والنزاعات والمرافعات بدلا من القوانين غير الإسلامية يقنع الناس من تلقاء أنفسهم بأن هذا البلد لن يسوده نظام الكفر في المستقبل بل تختتم عليه نظام الاسلام . فهذا الاجراء نفسه سوف يشكل حلقة رئيسية من حلقات تبديل اذهان الناس واتجاهاتهم . الامر الذي تساعدنا على توطيد دعائم النظام الاسلامي .

ولكم أن تقدّروا صحة ما قلته من خلال تاريخنا . إن الإنكليز لما الغوا قوانيننا السائدة في تلك الأيام ، واستبدوا بها بقوانينهم ، وجاء قضايانهم في المحاكم الابتدائية والمحاكم العليا يحكمون الناس بموجب تلك القوانين الاستعمارية ظلت مقاييس القوم واتجاهاتهم تتغير وتأخذ في التقلب . فأصبح الحرام حلالا والحلال حراما لديهم . والأمور التي اعتبرتها القوانين الانكليزية مشروعة فيما يتعلق بالأخلاق أو الاقتصاد أو الاجتماع أو غير ذلك من شعب الحياة راجت في حياتنا الاجتماعية ولو كانت هي منكرات وقبائح من وجهة الاسلام . بل أصبحنا نحن

ال المسلمين انفسنا نصف قوانيننا بالرجعية والتخلف . حيث قد غرس في قلوبنا بأن قانون الاسلام لا يتتجاوز شؤون النكاح والطلاق والارث الذي سميت بالاحوال الشخصية ، ولا يصلح لتسخير الشؤون الدينية الأخرى .

ولكن اليوم إذا أصبح الناس يرون بأم اعينهم أن القوانين الاسلامية هي التي تحكم البلد وتقرر مصيرهم في المحاكم فلا جرم أن التاريخ يعيده نفسه وتتبدد سيطرة القوانين الانكليزية على الأذهان . وعلى هذا ليس من الصحيح أبداً أن نقول : إننا ندخل الاصلاحات الاسلامية في شعبة واحدة أو في بعض الشعب بينما تبقى الشعب الأخرى تسير بمحض القوانين القديمة . هذا الترقيع لا ينفع أبداً .

خذوا مثلاً موضوع الانتخاب . إن الانتخاب فيما يبدو تعتبر شعبة واحدة من شعب الحياة . ولكن اصلاح هذه الشعبة يؤثر تائراً كبيراً في سائر شعب الحياة . ان طريقة الانتخاب التي راجت ولا تزال في بلادنا هي تلخص في أن المرشح لا مانع له من أن يبذل للجماهير الوعود الكاذبة الخادعة ، ولا مانع له من ذر الرماد في عيونها ، وتحقيقها واستغلال مواطن الضعف فيها ، وشراء ذممها بالمال ، ومارسة جميع أنواع الضغط لأجل الحصول على الاصوات ، وتجريح المنافسين بأسوأ التهم ووصفهم بأشنع الصفات ، ونشر العصبيات القبيلية والاقليمية بكل وقاحة ، وإثارة الفتن والنزاعات الطائفية ، وما إلى ذلك من الاساليب والمحايد والمصايد لأجل السيطرة على رقاب الناس . فعليكم أن تغيروا كل ذلك رأساً على عقب . وامنعوا استخدام الاساليب غير المشروعة في الحملة الانتخابية ، ودعوا الناس ينتخبو من يريدون بكل حرية وبدافع من ضميرهم وإيمانهم . وثقوا بعد ذلك أن تحسين النظام الانتخابي

سوف يحسن الجوانب العديدة من الحياة، حيث يتعدى بذلك على رجال سينين فوزهم في الانتخاب والوصول إلى الحكم . كما ترتفع بذلك نسبة نجاح الصالحين فيه .

مندوب الاذاعة :

نملك طائفه من الوسائل والأساليب لتبلیغ الاسلام وترویجه .
وماذا علينا المزيد في هذا المجال ؟

المودودی :

كُتِبَتْ فِي هَذَا الشَّأنِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ فِي مَوْلَفَاتِي وَمِنَ الصُّعبِ عَلَى
فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ أَنْ أَكُرِرَ الْمَكْتُوبَ .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! نرجو أن تتفضلاً بتوجيهنا إلى ما هو المطلوب
من اذاعة باكستان لأجل تحقيق هذه الغاية في الوقت الحاضر ؟

المودودی :

من الضروري جداً لاستخدام اذاعة باكستان في نشر الاسلام
وترويجه ، البحث عن اشخاص كفوئين يختارون موضوعاً من مواضيع
الاسلام ويدرسونه دراسة عميقه ثم يأتون الاذاعة ويلقون منها ذلك
الموضوع . فمثلاً يجب أن يكون هناك مجموعة من الاشخاص الذين
يختارونهم بكل دقة وحدر يتولون شرح العقائد الاسلامية وغرس كل
ناحية من نواحيها في اذهان الناس بكل جدارة . وإذا جاء شخص
واحد فقط يتولى هذا الموضوع يميل منه المستمعون وتتضجر ثفوسهم .
ولكن إذا كان هناك طائفه منوعة من العلماء والخبراء يتكلم كل واحد

منهم على طريقته ، ويناقش الموضوع على سليقته فمن المؤكد أن يستمع الناس إليهم بكل رغبة وشوق وانتظار . فأول عمل أساسى في هذا الصدد هو غرس العقائد الإسلامية الصحيحة في أذهان الناس وتشييدهم على الإيمان بها والبعض عليها بالنواجد . هذا العمل الأساسي هو الذي يغير ما بأنفسهم ، وهو الذي يجلبهم إلى معرفة حقائق الإسلام والاستمساك بها .

وهكذا يجب اختيار مجموعة أخرى من الناس يصلحون ثقافة وأسلوبا لالقاء الأحاديث والكلمات والدراسات عن أهمية العبادة في الإسلام ، وفوائدها في الدين والدنيا ، وأضرار تركها في الدنيا والآخرة . ويتبعها طائفة ثالثة من أهل العلم والدعوة لعرض مبادئ الإسلام الخلقيه وأحكام الإسلام وتعاليمه على الناس . ويتولى جماعة رابعة من المصلحين الاجتماعيين توجيه النقد إلى المنكرات والفواحش المنتشرة في المجتمع بأسلوب بلغ حكيم يستشعر به كل فرد من أفراد المجتمع بفداحة الاوساخ الخلقيه التي يت遁س بها ليل نهار .

وكذلك ينبغي أن ينهض جماعة من أهل العلم بصفة خاصة ليتناولوا الكبار واحدة ويركزوا عليها مرة بعد أخرى ، ويشرحوا للناس مضارها ، ويشروا في قلوب الناس الاحساس القوى بأن الكبار كيف تفسد عليهم الدنيا والآخرة ، وكيف تدفع مرتكيها إلى العذاب المهين يوم القيمة . فمثلا يأخذونه ونحوه قتل الانسان ، ويعذبون للناس نتائجه القبيحة ، ويوضّحون لهم بأن القاتل الذي يقتل مثلًا عشرة اشخاص في الدنيا لا يستطيع القضاء في الدنيا أن يعاقبه إلا بعذاب واحد وهو الاعدام . أما عذاب قتل البقية من المقتولين التسعة فلا ينال العذاب عليه في هذه

الدنيا . وإنما المحكمة الالهية يوم القيمة هي التي تعاقبه على ذلك بعقاب يتناسب مع فداحة الجريمة . لأن القضاء البشري لا يتناول إلا فعل القتيل . وعليه يعاقب المجرم باعدامه فقط . ولكن الخسائر والاضرار التي سوف تترتب من ذلك الفعل على أسرة القتيل واجياله القادمة لا تستطيع محكمة من محاكم الدنيا ادراكه نوعية تلك الخسائر والاضرار ومدى استمرارها إلى الاجيال المتلاحقة . والله سبحانه وتعالى هو الذي يعرف ذلك بعلمه المحيط واحاطته بكل شيء في السموات والأرض وبكل ما تقدم وتأخر . وسوف يعطى للمجرم جزاءه الأولي على فعله بكل آثاره ونتائجها .

وارى أن اذاعة باكستان إذا استمرت في نشر حلقات متسلسلة مما اشرت إليه من المواضيع بسواسطة رجال اكفاء يمارسون الأسلوب البليغ الأخاذ في احاديثهم يحدث خلال ستة اشهر فقط تغير كبير في أفكار الناس وعاداتهم . إذ أن الأجهزة الاعذية وسيلة فعالة لتوسيع الجماهير . والجماهير مولعة بها لحد أن الفلاح — مثلاً — لا يحب حراثة أرضه إلا ويصحبه جهاز الترانزستور . وبما أن الجماهير لا تستمع اليوم من الراديو إلا أغاني السيدات ، بل أغاني الافلام الماجنة بالطلب وب بدون الطلب ، إذا أصبحت نفس الجماهير لا تستمع من الراديو إلا أحاديث الدين بلغة سهلة وبأسلوب رائع فلا نتوقع منها في المستقبل أن تغلق الراديو بمجرد أن يقارع آذانها حديث عن الله ورسوله .

واقتراح أن تبدأوا في صدد البرامج الدينية من الحكايات والواقع الصحيح من عهد الرسالة وعهد الخليفة الراشدة وعهد الصحابة . وكذلك حكايات وسير الانسلاف الصالحين التي تأخذ بمعجم الجماهير

ويتبعها البيان بعقائد الاسلام ومبادئه الاخلاق . وهكذا تستطعون رويدا رويدا أن تشوّقها للاستماع إلى التعاليم الاسلامية وادرالك معاناتها وفهم مقتضياتها .

ولا نجدون ولا شخصا واحدا من هؤلاء القرويين البسطاء يخالو من حبه العميق للرسول ﷺ وتفدية نفسه له ، و تستطعون أن تقولوا لهم : يا مسلمين ! إن الرسول الذي تحبونه هذا الحب العميق عليكم أن تتبعوه كذلك وتعضوا على احكامه بالنواخذة . وكذلك هل من مسلم من عامة الجماهير لا يؤمن بالبعث بعد الموت . فعليكم أن تشرحوا لهم من اذاعتكم ماذا سيواجهونه بعد الموت . خذوا جميع المعلومات عن كل ذلك من كتاب الله وسنة رسوله . وليس من المستبعد أن عامة الناس إذا سمعوا النتائج التي سوف تترتب على اعمالهم التي عملوها في الدنيا بعد انتقالهم من الدار الفانية إلى الدار الباقيه ترتعد له فرائصهم و تفشع له جلودهم . بل انهم إذا سمعوا ماذا يجري على الانسان السيء في القبر من عذاب وحساب تتفتت اكبادهم وتذوب قلوبهم من كمد .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! نحن فعلا ننشر من الاذاعة البرامج الخاصة بالفالحين والمزارعين والعمال والكادحين والنساء والاطفال . فلا ننشر لهم منها الاغانى ولهو الحديث فقط . ومن العجائز أن لا تكون تلك البرامج على ما يرام ؟

المودودي :

اقول : إن معظم برامج الإذاعة تتضمن الاغانى والموسيقا . وشيئا يسيرا عن الدين ومقتضياته واخلاقه . وعلى هذا من اللازم أن

تقللوا من القسم الأول من البرامج شيئاً فشيئاً وأن تزيدوا في القسم الثاني منها . وإذا افهتم الناس دينهم ومسؤولياتهم تجاهه جيداً بصناعة البيان وروعه الاسلوب لا يبقى الناس متعدين على الاغانى والمزامير . وإذا حاولوا أن يسمعوها من الاذاعات الخارجية فان ضميرهم الحي سوف ينبعهم على ذلك المنكر ويستشعرون بدون ما تأخير بأنهم سوف يحاسبون على ذلك يوم القيمة حيث تشهد عليهم آذانهم بما سمعوا بها وتشهد عليهم المستهم وارجلهم بما كانوا يعملون .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

(٩ ابريل ١٩٧٨ م)



حوار حول تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان

مندوب اذاعة باكستان :

ابها المستمعون الكرام ، انا مندوب اذاعة باكستان اخاطبكم من مكتب سماحة الأستاذ أبو الاعلى المودودي ، حيث أن سماحته جالس فيه بين الوف من الكتب . ولا يخفى عليكم أن سماحته يعتبر في العالم المعاصر مرجعا موثقا فيما يختص بالدراسات الإسلامية والفقه الإسلامي . ومن سعادة راديو باكستان ومستمعيه الكرام أن سماحة الأستاذ اتاح لهم الفرصة على مرضه لتباحث معه في موضوع القوانين الإسلامية التي نفذت في باكستان . وانا على ذلك اشكر سماحته جزيل الشكر وحالص التقدير .
وليكما ما جرى بيني وبين سماحته :

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! اجد في نفسي شيئا من الجرأة لاوجهه إليك طائفة من الأسئلة تتضمن موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان . وانا على يقين أكيد بأن ملاحظاتك حول هذا الموضوع ستزود المستمعين بمعلومات نافعة وتوجيهات سليمة .

يا صاحب السماحة ! أرجو أن تشكرم بالقاء الاضواء على النتائج الفورية التي يمكن أن تظهر في المجتمع الباكستاني بعد أن طبق رئيس

جمهورية باكستان القوانين الإسلامية في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول . وهو يوم ولادة الرسول ﷺ .

المودودي :

إن النتائج الفورية التي تتوقع ظهورها من اعلان الرئيس للقوانين الإسلامية هي اقتناع الناس بأن باكستان أصبحت دولة إسلامية لا يطبق فيها إلا القوانين الإسلامية . وهذا الاقتناع يجعلهم يستعدون فكريًا للنكيف مع الوضع الجديد . ثم أول لكم بصرامة . إن القوانين أو التدابير الأخرى لاصلاح المجتمع لا تعطي أبدا النتائج الفورية ، بل إن نتائجها لا تظهر إلا بعد الاستمرار في الممارسة الفعلية .

مندوب الأذاعة :

يا صاحب السماحة ! من السوّاحع بين أن العالم اليوم أصبح متقارباً جداً ، ولا يتخذ اجراء قانوني هام أو لا يحدث أمر ذو بال في مكان ما إلا ورثصل آثاره إلى البلدان الأخرى . اذن فما هي الآثار التي سوف تترتب على باكستان أولاً ، وعلى البشرية ثانياً ، بعد تطبيق القوانين الإسلامية في باكستان ، أقصد آثاراً فورية و بعيدة الأجل؟

المودودي :

من الآثار الفورية على العالم الإسلامي أنه قد عرف بأن باكستان دخلت اليوم في مرحلة تطبيق الإسلام الذي كان سبب إنشائها . ولذلك نرى أن جميع المسلمين في العالم رحبوا ترحيباً حاراً بالإجراءات الإسلامية التي اتخذت في باكستان . أما العالم غير الإسلامي فهو يرى ، الظن بالاسلام منذ ذي قبل ، ويعتبره نظاماً رجعياً غير صالح للتطبيق

في العصر الحاضر . وعلى هذا لعله يرى أن باكستان رجعت قهقهري فلا بد لمحاربتها في جميع المجالات . ولكننا لأنبالي بذلك ولا يهمنا موقف الناس من باكستان الإسلامية . بل علينا أن نأخذ بما نؤمن به سواء أيرضى منه أحد أو لا .

مندوب الإذاعة :

يا صاحب السماحة ! إن جميع المذاهب الفقهية تتفق على الشريعة الإسلامية كنظام وهل من الممكن أن تتفق تلك المذاهب على المواد القانونية التفصيلية التي تستمد من الشريعة ؟

المودودي :

أنكم تعلمون جيدا أن الحكومة انشأت مجلس العقيدة الإسلامية . والغرض من إنشائه أن القوانين الإسلامية التي تريدها الحكومة تطبيقها يتولى المجلس أولاً تدوينها والمصادقة عليها ، ثم تحويلها إلى الحكومة لأجل صوغها في القوالب القانونية ومن ثم تطبيقها في البلد . والمجلس يضم العلماء من جميع المذاهب الفقهية . وان المشاريع الإسلامية التي قدمت من قبل المجلس حتى اليوم لا بد من أن يكون المجلس قد اتفق عليها ، وصادق عليها كل عضو من اعضائه . وعلى هذا فان تساؤلكم لا يثير أى تعقيد في هذا الباب .

مندوب الإذاعة :

يا صاحب السماحة ! هل يجوز البقاء على الضرائب العديدة كضريبة الدخل ، وضريبة العقار ، وضريبة المبيعات ، والجمارك ، والرسوم بعد تنفيذ قانون زكاة الأموال والزروع والمواشي ؟

المودودي :

عليكم أن تفهموا جيداً أن أموال الزكاة لا تصرف إلا على الفقراء والمساكين في المجتمع. وعلى الأبواب التي وردت في القرآن وهي لا تصرف على تسيير شئون الدولة. بل المصادر التي تحتاج إليها الدولة لتسير شئونها تحصل من الضرائب العديدة. نعم، مادام قانون الزكاة يطبق الآن فان الأمر في حاجة إلى مراجعة نظام الضرائب الحالي وجعله منسجماً مع نظام الزكاة. أما القول بأن أموال الزكاة هي التي تغطي جميع تكاليف الدولة فليس بصحيح. لا بد من فرض الضرائب الأخرى.

مندوب الاذاعة :

سؤال عاجل يخالج الذهن ، هو : إن الموارد التي كانت تغطي تكاليف الدولة في صدر الإسلام هل إن نفس الموارد تروج اليوم أيضاً؟ وكذلك أرجو أن توضح لنا أيضاً أن الوجوه التي تنفق فيها أموال الزكاة بوجوب كتاب الله منها باب يسمى «في سبيل الله». فما هو المراد من هذا الباب (أى وفي سبيل الله). وأرجو أن أسألك أيضاً أن سيدنا عمر فاروق رضي الله عنه كان قد الغى في عهده باب «المؤلفة قلوبهم» هل يجوز لنا أن نلغي هذا الباب اليوم؟

المودودي :

إن سؤالكم يشمل ناحيتين ، وجوابي عن الناحية الأولى : إن نظام الحكومة في صدر الإسلام لم يكن معقداً مثلاً بمحده اليوم ، ولم يكن متسبباً مثل تشعبه اليوم. ولذلك فإن الجزية التي كانت تفرض على غير المسلمين ، أو الخراج الذي كان يجبي من أراضيهم ، أو الغنائم التي كان يفوز بها المسلمون في الحروب ، كل ذلك كان

يكتفى لتغطية مصارف الدولة وتسخير شؤونها : ولم تكن في ذلك العهد هياكل كبيرة للدوائر الحكومية ، ولا أصحاب المناصب الكبيرة ، ولا الموظفون الذين كانوا يأخذون رواتب باهظة . ولذلك لم تكن الحكومة في حاجة إلى فرض الكثير من الضرائب . وليس من اللازم اليوم أن تكتفى الدولة بنفس الموارد التي كانت لها في تلك الأيام . بل لها اليوم أن تتوسع في هذا النطاق وتشهد السوائل الأخرى لتسخير أمورها على أحسن ما يرام .

وجوابي عن الناحية الثانية أن باب «في سبيل الله» يشمل النشاطات الخبرية والمصالح العامة عند جماعة من الفقهاء . كما أن عند الجماعة الأخرى لا يشمل ذلك الباب إلا الجهاد . أى أن الشخص الذي يذهب للجهاد يجوز دعمه من أموال الزكاة إذا كان في حاجة إلى الدعم . ولكن هذا الرأى لا يتفق عليه جميع الفقهاء . وارى أن هذا الموضوع يطرح في مجلس العقيدة الإسلامية ، ويناقش فيه علميا ، ويصدر فيه قرار متفقا عليه . وانا لا استطيع ان أقول في هذا الموضوع اكثر من أن الأمر فيه رأيان عند الفقهاء . والأمر الأخير الذي قلتم عن سيدنا عمر فاروق رضى الله عنه في بيانه أن بعض الناس في عهد الرسول ﷺ كانوا قد دخلوا في الإسلام لظروف ارغمنتهم على ذلك . ولم يكونوا مستقيمين في الإسلام . فنظرًا لتأليف قلوبهم وتشجيعهم صرفت إليهم أموال الزكاة . وفي أيام سيدنا عمر فاروق رضى الله عنه لما جاءوه يطالبون بسمتهم قال لهم عمر رضى الله عنه : إن رسول الله ﷺ كان يعطيكم ليؤلفكم على الإسلام . فاما اليوم فقد اعز الله دينه واغنى عنكم ولم يعد هناك حاجة لتأليفكم .

وليس المراد من ذلك أن الباب الذي ورد في القرآن الكريم عن المؤلفة قلوبهم قد الغى بصلة دائمة . وأرى أن هذا الموضوع كذلك يجب أن ينظر فيه مجلس العقيدة الإسلامية . وهو الذي يقرر : هل هذا الباب قائم أو ساقط .

مندوب الأذاعة :

يا سماحة الأستاذ ! أرجو المزيد من الإيضاح لهذا الباب .

المودودي :

بيان هذا الباب كما يلى :

أولاً : قد يكون هناك أناس يحاربون الإسلام فيمكن من منعهم ذلك لقاء مساعدة مالية . كما جاء عن ابن عباس أن قوماً كان يأتون النبي ﷺ فان اعطاهم من الصدقات مدحوا الإسلام وقالوا : هذا دين حسن وان منعهم ذموا وعابوا .

ثانياً : شخص دخل حديثاً في الإسلام . وبما أن مجتمعه الذي كان يعيش فيه تغير ، وانضم إلى المجتمع الجديد يجوز لنا أن نؤلف قلبه بالاعانة المالية ، ونواصيه حتى يعيش بدينه الجديد ثابت الإيمان مستقيم الساوك مرتاح البال .

ثالثاً : فئة من الناس مصابة بداء النفاق فيجوز اعطاءها لمنعها من النفاق وتشبيتها على الإيمان . ولهذه الأغراض وغيرها قد ذكر الله سبحانه وتعالى باب المؤلفة قلوبهم في كتابه .

مندوب الأذاعة :

يا صاحب السماحة ! هل إن «القذف» ينطبق حكمه على قضية

الانحراف الجنسي فقط ، أو يجوز انطباقه على جميع أنواع البهتان والرمي ؟
المودودي :

إن القذف الذي ورد حده في القرآن الكريم وهو ثمانون جلدة هو لا ينطبق إلا على حالة رمي شخص شخصا آخر بالزنا . وأما الأنواع الأخرى من البهتان والرمي فيجوز معاقبة من يفعل ذلك بقانون آخر من باب التعزير . أما حد القذف فلا يعاقب به إلا من رمى شخصا بالزنا كذبا وزورا .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! إن أى حد أو تعزير أو عقاب يقرر لشخص بموجب القانون الإسلامي لا يقرر إلا بعد الشهادات الصحيحة الصادقة . فهل يمكن أن يتتوفر هذا المستوى من الشهادات في مجتمعنا اليوم أى الشهادات التي تعرف بها الشريعة الإسلامية ؟

المودودي :

ما لا شك فيه أن مجتمعنا يسوده الفساد والانحراف منذ زمن غير يسير . ويوجد عندنا بكثرة اشخاص يشهدون شهادة الزور . كما أن البوليس نفسه يعد هذا النوع من الشهود . وكذلك أن الكثير من الناس يعتقدون أن لا مانع لديهم من الكذب وشهادة الزور أمام القضاء . ولكنني اعتقد مع هذا وذاك إننا إذا طبقنا القوانين الإسلامية في جانب ، وفي الجانب الآخر ركزنا عنايتها على خلق الاحساس القوى في الناس بأن القانون الذي يطبق عليهم اليوم هو قانون الله عز وجل ، وانهم إذا خالفوا هذا القانون ولم يحسنوا النية به ، وشهدوا كالعادة شهادة الزور فانهم يعاقبون في الدنيا بموجب هذا القانون بدون هوادة . وكذلك

يعاقبون عقابا شديدا يوم القيمة . وقال النبي ﷺ : «عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله» . فهذا الشعور إذا عمقا في اذهان الناس على اوسع النطاق فلا احال أن الناس يتقدموه إلى المحاكم بشهادات الزور بدون ما حرج . كما هو الوضع الآن . ثم اضيف إلى ذلك أن تنظيم البوليس من جديد امر ذو اهمية بالغة يجب اصلاح البوليس كما يجب اصلاح عامة الناس بواسطة الوسائل الاعلامية . وخاصة بالراديو . إذ أن هذا الجهاز يستمع إليه حتى الفلاح في حقه . ولا نستطيع ايصال صوتنا إلى عامة الناس إلا بالراديو لأن الصحف أو الوسائل الأخرى لها نطاق محدود لا تتجاوزه . وعلى هذا إنما انشد القائمين على اذاعة باكستان أن يستخدموها هذا الجهاز المؤثر الفعال لنشر الاسلام وتعزيزه في قلوب الناس مشكورين .

مندوب الاذاعة :

ما هو الشرط الذي يجعل الشهادة موثوقة . هل يكفي في هذا الصدد صدق القول ، أو يضاف إليه استقامة السلوك وحسن السيرة أيضا ؟

المودودي :

إن المصطلح الذي استخدمه الاسلام للشهادة هو أن يكون الشاهد عادلا . والمراد من الشاهد العادل الشخص الذي يشهد بالقسط والانصاف ، ولا يكذب عمدا ، ولا يخفي امراً صحيحا ، ولا يذكر شيئاً غير صحيح . وينظر إلى سلوكه قبل الشهادة هل هو نزيه أو غير نزيه . وخلال الشهادة أيضاً يتحرى القضاة من بيانه ولهمجته وتعابيره : هل هو صادق فيما يقول أم كاذب . ويجرى عليه الاستنطاق لكشف ما ادلى به . ومن أجل ذلك نأمل أن تتوفر الشهادات الصحيحة التي تساعدنا في تطبيق الحدود .

من دو布 الاذاعة :

ـ ماذا يكون مصير المحاماة والمحامين عندنا بعد تطبيق
القوانين الاسلامية ؟

المودودي :

يتبدل لون المحاماة ولا تنتهي مهنة المحاماة . اقصد أن دور
المحامي هو بثابة دور المفتى . إذ أن المحامي مدعو إلى أن يوضح
للقضاء القانون ومراده وفحواه . وهذه المهمة كان يقوم بها في الماضي
المفتون . لأن القضايا التي تعرض على القضاء كان اصحاب الفتيا
يعطون فيها فتاوهم ، ويوضحون رأى الاسلام فيها . وهذه هي المهمة
التي سوف يقوم بها المحامون عندنا في المستقبل . ومعنى ذلك أن
المحاماة لن تنتهي بنفسها . وإنما يحصل التغيير في اسلوب ممارستها .

من دو布 الاذاعة :

هل لشاهد الزور عقاب في الشريعة ؟

المودودي :

نعم ، إذا ثبت عن شخص أنه شهد شهادة الزور فان الحكومة
الاسلامية تعاقبه بقدر جريمة . أى إذا كان شهد زورا في قضية من قضايا
الحدود يعاقب عقابا شديداً . وللحكومة الاسلامية أن تضع قانونا في
هذا الباب . لأن هذا النوع من الجرائم يدخل في نطاق القوانين
التعزيرية . وينبغي على الحكومة أن تضع قانونا لرجل شهد شهادة الزور
في حد من حدود الله يحاسبه حساباً شديداً ، ويعاقبه عقابا بما يكون
ة للناس وردعا له من اداء الشهادات الكاذبة أمام المحاكم .

مندوب الاذاعة :

هناك مصطلحات تستعمل في باب الزكاة كمصطلح «الأموال الظاهرة» و«الأموال الباطنة» فالرجاء شرحها مشكورين .

المودودي :

المراد من الأموال الظاهرة أموال تظهر للناس ويطلعون عليها بسهولة كالبضائع الموجودة في المحلات التجارية أو المنتوجات الجاهزة في المصانع ، والأموال المودعة في المصارف . وكذلك المقول فإن زروعها ظاهرة بينة . أما الأموال الباطنة فهي الأموال التي يحرزها الرجل في بيته سواء أكانت من الحلى لزوجته أو بناته ، أو النقود . فان كل شيء من هذا القبيل يعتبر من الأموال والاملاك الخفية . هذا هو الفرق الاساسي بين الأموال الظاهرة والأموال الباطنة . أي المال الباطن ما خفي عن اعين الناس . والظاهر ما ظهر لهم وقع عليه الاعين بصفة عامة .

(٦ مارس ١٩٧٩م)

كتاب

